السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين

فيها دخل مُفْلِح طبرستان، فهزمَ الحسنَ بن زيد الطالبيّ، فلحقَ بالديلم، ودخل مفلح آمُل، فهدم منازل الحسن، ثمَّ سار إلى الديلم في طلبه.

وفيها كان بين يعقوب بن الليث وطَوْق بن المُغَلِّس وقعةٌ خارج كَرْمان، ظهر فيها يعقوب على طوق، فأخذَه أسيراً، وسببه أن يعقوب كان قد استولى على فارس، فكلاهما غيرُ مطيعٍ للسلطان، يجبيان الخراج لأنفسهما، فكتب عليُّ بن الحسين إلى المعتزِّ يسألهُ ولايةَ خراسان، ويقول بأنَّ آل طاهر قد ضعفُوا عن مقاومة يعقوب بن الليث، وقد خرب خراسان، فكتبَ إليه بولايتها، وكتب أيضاً إلى يعقوب بولايتها، وأرادَ أن يغريَ بينهما؛ ليسقط مؤونة الهالكِ منهما عنه، وينفرد بمؤونة الآخر، إذ كان كلُّ واحدٍ منهما له حرباً، فسار يعقوبُ من سجستان يريد كَرْمان [ووجَّه عليُّ بن الحسين طوق بن المُغَلّس، وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كَرْمان في جيشٍ عظيمٍ من فارس، فصار طوق بكَرْمان، وسبق يعقوب إليها][1]، فدخلها، وجاء يعقوب فصار على مرحلة منها، فأقامَ كلُّ واحدٍ منهما مكانَه شهرين، وحفظ عسكره من الدخول إلى عسكر الآخر، فلمَّا طال ذلك عليهما، أظهرَ يعقوبُ الرحيلَ إلى سجستان، فسار نحو مرحلة، وبلغ طوقاً رحيلُه، فوضع له آلة الحرب، ودعا الملاهي، وقعد يشرب، ويعقوب يستطلعُ أخبارَه ساعةً بساعة، ويضع عليه العيون والجواسيس، فجاءت عيونُه، فأخبرته خبرَه، فسار وطوى مرحلتين في مرحلة[2]، فلم يشعر به طوق إلَّا وقد أحاطَ به وبأصحابه، فذهبَ أصحابه يدافعون عن أنفسهم، فقال يعقوب: أفرجوا لهم، فخرجوا هاربين لا يلوون على شيء، وخلوا جميعَ ما كان في عسكرهم، وأسر يعقوب طوقاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٣: فطوى مرحلتين في يومٍ واحد.

وكان عليُّ بن الحسين بعث معه صناديق في بعضها أطواقٌ وأسورة، وفي بعضها قيودٌ وأغلال، فلمَّا حازَها يعقوب فتحَ الصناديقَ التي فيها الأطواق والأساورة، فقال: يا طوق: ما هذه؟ قال: حمَّلنيها عليٌّ لأطوِّقَ بها وأسوِّر أهلَ البلاء من أصحابي، وفتحَ الصناديق التي فيها القيودُ والأغلال، فقال: ما هذه؟ قال: أمرني أن أقيِّدَ بها أصحابك، فقال: انظروا أثقل قيدٍ وأكبر غُلٍّ، فاجعلوه في رِجْلِ طوقٍ ورقبته، وفعل بأصحابه كذلك، وأخذ الأطواق والأساورة فجعلها في أعناق أصحابه وأيديهم.

ولمَّا أمر يعقوب بمدِّ يد طوق ليضعها في الغُلِّ، إذا بعصابة على ذراعه، قال: ما هذه؟ قال طوق: كنتُ وجدت حرارةً ففَصَدْتُ، فمدَّ يعقوب رجله، وقال: يا غلام، انزع الخف، فنزعه، فتناثرَ الخبز اليابس، فقال: يا طوق هذا خُفِّي، لم أنزعه منذ شهرين، وخبزي في خفِّي آكل منه لا آكل من غيره، ولا أطأُ فراشاً، وأنت جالسٌ في مجالس الشراب والملاهي.

ولمَّا فرغ يعقوب من أمرِ طوق دخلَ كَرْمان وحازها، وصارت له مع سجستان.

وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس، وأسرَ عليَّ بن الحسين بن قُرَيش.

السبب لمَّا اتَّصل خبرُ طوقٍ بعليِّ بن الحسين، أيقن بقصدِ يعقوب إيَّاه، وكان يومئذ بشيراز، ونزل بمكان ضيِّقٍ تحت جبل، لا يقدرُ أنْ يمرَّ به غيرُ رجلٍ واحد، ومن الجانب الآخر نهر يقال له الكر عريض، وترك شيراز وراءه[1] بين يديه، وقال: إنْ جاء يعقوب لا يقدر على الوصولِ إلينا؛ لصعوبة المكان.

وجاء يعقوب، فنزل قريباً منه ممَّا يلي كَرْمان، ثم ركب وحده وبيده رمح عُشَاريّ، ومعه رجلٌ واحد، فوقف ينظر إلى الكرّ والطريق التي بينه وبين الجبل، ويتأمَّل عسكرَ عليِّ بن الحسين، فعرفه أصحابه، فأخذُوا يشتمونَه، ويقولون: لنردنَّك إلى شعب القماقم والمراجل يا صَفَّار[2]، وهو ساكتٌ لا يتكلَّم، فلمَّا شاهدَ ما أراد من ذلك انصرف، فلمَّا كان من الغد عند الظهر أقبلَ بأصحابه ورجاله حتى صار على شطِّ كُرّ ممَّا يلي كرمان، فأمرَ أصحابه فنزلوا عن دوابِّهم، وحطُّوا أثقالَهم، ثمَّ أخرج صندوقاً

(١) بعدها في (خ) بياض بمقدار كلمتين.

(٢) في (خ) و(ف): بإصغار، والمثبت هو الصواب، فهو يعقوب بن الليث الصَّفّار، وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٥.

كان معه، ففتحه، وأخرج منه كلباً ذئبيًّا[١]، ثمَّ ركبوا دوابَّهم عُرَاة[٢]، ورماحُهم بأيديهم، وكان عليٌّ قد عبَّأ صفوفَه على الممرِّ بين الجبل والكرّ، وهم يرون أنَّه لا سبيلَ ليعقوب[٣] إلَّا من هناك، وقد سجنوه، ثم أطرق[٤] أصحاب يعقوب الكلبَ في الكر، وأصحابُ عليٍّ ينظرونَ ويضحكون، وسبحَ الكلبُ في الماء، وتبعَه أصحابُ يعقوب، فجازوا الكرّ، وجاء أصحابُ يعقوب من وراء الكر[٥]، فانهزَم عليُّ بن الحسين وأصحابه، وعملَ فيهم السيف، وقصدوا كرمان[٦]، وعثرت بعليِّ بن الحسين دابَّتُه، فسقطَ، فوضع بعضُ الغلمان عمامتَه في عنقه، وسحبه إلى بين يدي يعقوب، فقيَّدهُ وحبَسهُ، ودخل يعقوب إلى شيراز، ونهب أصحابُه دارَ عليٍّ ودورَ أصحابه، وجمع يعقوب الغنائمَ وأموال الخراج، وعاد إلى سجستان، ومعه عليُّ بن الحسين مقيَّداً.

وبعث يعقوب إلى المعتزِّ بخيلٍ وبُزَاة ومسك وهدايا.

وفيها ولَّى المعتزُّ سليمانَ بن عبد الله بن طاهر شرطةَ بغداد والسواد في ربيع الآخر، وكان قدم من خراسان يوم الخميس لثمان خلون من ربيع[٧].

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل، والحسن بن مَخْلَد، وأبا نوح عيسى ابن إبراهيم، فقيَّدهم، وطالبَهم بالأموال، وهؤلاء هم كتاب المعتزِّ وخاصَّتُه.

وسببُ ذلك أنَّ صالح بن وصيف قال للمعتز: يا أمير المؤمنين، ليس للأتراك[٨] عطاء، ولا في بيت المال مال، وقد ذهب ابنُ إسرائيل وأصحابُه بأموال الدنيا، فقال له أحمد: يا عاصي يا ابنَ العاصي، وتراجعا الكلام حتى وقعَ صالح مغشيًّا عليه وبلغ

(١) في (خ) و(ف): ذهبا. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٢) في تاريخ الطبري: أعراء.

والعُرِي: الفرس بلا سرج، وجمعه أعراء. انظر تاج العروس (عرى).

(٣) في (خ) و(ف): إلى يعقوب. والتصويب من تاريخ الطبري.

(٤) كذا في (خ) و(ف). والمراد أنهم رموا الكلب في الماء. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٦ .

(٥) في تاريخ الطبري: من وراء أصحاب علي بن الحسين.

(٦) في تاريخ الطبري: شيراز.

(٧) أي: ربيع الأول. كما في تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٧ .

(٨) في (خ) و(ف): ليس له عليك. تحريف.

أصحابه وهم على الباب، فصاحوا صيحةً واحدةً، واخترطُوا السيوفَ، ودخلُوا على المعتزّ، فلمَّا رآهم قام فدخل، وأخذ صالح أحمد بن إسرائيل ومن سمَّينا، فقال له المعتز: هب لي أحمد، فقد ربَّاني وهو كاتبي، فلم يفعل، وأخذهم إلى داره، فضرب ابن إسرائيل حتى تكسَّرت أسنانُه، وضرب ابن مخلد مئة مقرعة، وكان عيسى بن إبراهيم قد احتجم، فضُرب حتى سالت محاجمُه، وأخذَ خطوطهم بمال جليل، وجُعِل في رِجْل كلِّ واحدٍ منهم ثلاثون رطلاً من حديد، وفي عنقه عشرون رطلاً، وطولبوا بالأموال، فلم يُجب واحدٌ منهم إلى شيء، فبعث صالح في قبض ضياعهم وأسبابهم[١].

ولليلتين مضتا من رجب ظهرَ بالكوفة عيسى بن جعفر، وعليُّ بن زيد الحسنيّان، فقتلا بها عبدَ الله بن محمد بن داود بن عيسى[٢].

ولثلاثٍ بقين من رجب خُلِع المعتز.

وسببُه أنَّ هؤلاء الكتاب لمَّا لم يقرُّوا بشيءٍ، صار جماعةٌ من الأتراك إلى المعتز، وقالوا: أعطنا أرزاقَنا لنقتلَ صالحَ بن وصيف، فأرسلَ إلى أمِّه يطلبُ مالاً، فلم تعطه شيئاً، وليس في بيوت الأموال شيء، فحينئذٍ أجمعَ الأتراكُ والمغاربةُ والفراغنةُ في خلعه، ووافقَ في ذلك صالح بن وصيف، وباكباك، ومحمد بن بُغا وغيرهم، فلبسوا السلاح، وجاؤوا إلى دار المعتزِّ، وهو في بعض حجره، فبعثوا إليه: اخرج إلينا، فقال: قد شربتُ دواءً، وأنا ضعيف، فإن كان ولا بد، فابعثُوا إليَّ من يُعلِمني بأمركم، فهجم عليه جماعةٌ منهم، وجماعةٌ من أهل الدُّور والكَرْخ والقُوَّاد، فجرُّوا برجلِه إلى باب الحجرة، وتناولوه بالضرب بالدبابيس، فخرج وقميصه مخرَّقٌ في مواضع، وآثارُ الدم في منكبيه، فأقاموه في الشمس في الدار في شدة الحرّ، فبقيَ يرفعُ قدماً ويضع أخرى، ثمَّ جعلوا يلطمونَه في وجهه، وهو يتَّقي بيده، ويقولون: اخلعْها، ثمَّ حبسوه في حجرة، وبعثُوا إلى القاضي ابن أبي الشوارب، فأحضروه مع جماعةٍ من أصحابه، فقال له صالح بن وصيف: اكتبْ كتاب خَلع، فقال: لا أحسنه، وكان معه رجلٌ

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٣٨٨.

أصبهانيّ، فقال: أنا أكتبه، فكتبه، وشهدوا عليه، وشهدوا على الجماعة أنَّ له ولابنه ولأخته[١] ولأمِّه الأمان، فقال صالح بكفّه، أي: نعم، ووكَّلوا بذلك[٢] المجلس وبأمِّه جماعة نساء يحفظنَها، فيقال: إن أمَّه وأخته وقُرْب حفرن سَرَباً، وهربنَ منه، وأقام هو في الدار محبوساً[٣].

الباب الرابع عشر في خلافة المهتدي بالله

وهو أبو إسحاق، وقيل: أبو عبد الله، محمد بن هارون الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد.

ولد بالقاطول، وأمُّه رومية يقال لها: قُرْب، تزوجها المستعين، فلَّما قُتِل [المستعين] صيَّرها المعتزُّ في قصر الرُّصَافة الذي فيه الحُرَم، ثم ماتت قبل أن يلي ابنُها الخلافة[٤].

[واختلفوا في مولده على أقوال؛ أحدها][٥] في ربيع الآخر سنةَ خمس عشرة ومئتين، [والثاني: في سنة سبع عشرة ومئتين، والثالث:][٦] سنة ثمان عشرة [ومئتين، والرابع: في][٧] سنة تسع عشرة ومئتين، وهو الأشهر[٨].

[ذكر صفته]

وكان أسمر رقيقاً، رحبَ الجبهة، حسنَ الوجه، أشنب[٩]، [والشَّنَبُ: حِدَّة الأسنان، وقيل: بَرْدُها وعُذُوبتها،] عظيمَ البطن، [عريض المنكبين، قصيراً، طويل اللحية.

---

(١) في (خ) و(ف): ولأخيه. والتصويب من تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٠.

(٢) في (خ): في ذلك.

(٣) من بداية أحداث هذه السنة إلى هنا ليس في (ب).

(٤) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٦.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ومولده.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٨) قوله: وهو الأشهر. ليس في (ب).

(٩) في تاريخ بغداد ٤/ ٥٥٤، والمنتظم ١٢/ ٨١: أشيب.

ذكر بيعته:

واختلفوا فيها، فقال الطبريُّ: بويعَ يوم الأربعاء لليلةٍ بقيت من رجب، فقال:] ولم يقبل [المهديُّ] بيعةَ أحدٍ حتى أتي بالمعتز فخلع نفسه، وأخبرَه بعجزه عن القيام بما أسند إليه، ومدَّ المعتزُّ يدَه فبايعه. وذكر صفةَ خلعِ المعتزِّ، [وأنَّه أشهدَ عليه الشهود في صحَّة عقله، وجوازٍ من أمره، طائعاً غير مكره، وأنَّه عاجزٌ عن القيام. وكتب المعتزُّ خطَّه على الكتاب.

وذكر الطبريُّ كلاماً طويلاً حاصلُه ما ذكرناه[١].

والمعتزُّ ابن عمه لحًّا.

واختلفوا في كيفية حضور المعتز للبيعة، فقال الصوليّ:] لمَّا جاء المعتزُّ [إلى المهتدي]، قام له المهتدي، وسلَّم عليه بالخلافة وجلس بين يديه، وجيءَ بالشهود، فلمَّا رآهم المعتزّ قال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلَّا في الخسوف، فلمَّا بايعَه المعتزُّ ارتفعَ المهتدي إلى صدرِ المجلس وقال: لا يجتمعُ سَيْفَان في غمد، ولا فحلان في شَوْل، ثم أنشدَ لأبي ذؤيب: [من الطويل]

تريدينَ كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمعُ السيفان ويحكِ في غمدِ[٢]

[وفي رواية الصولي أيضاً أنَّ الأتراكَ وصالحَ بنَ وصيف لمَّا فعلوا][٣] بالمعتزِّ ما فعلُوا أرسلُوا إلى بغداد، فأحضرُوا محمدَ بن الواثق، وهو ابنُ عمه لحًّا، وكان [المعتزُّ] قد نفاه من سرَّ من رأى إلى بغداد، فوافوا به سُرَّ من رأى ليلةَ الأربعاء لليلة بقيت من رجب، فأُدخِل عليه المعتزُّ لثلاثٍ خلون من شعبان، فقال له المهتدي: أخُلِعت أم خَلَعتَ نفسَك؟ فقال: بل خُلِعت، فوُجِئ في عنقه حتى سقطَ، ثمَّ أقيم، فقال: بل خلعتُ نفسي على أنَّ لي الأمان ولإخوتي وأمي وولدي، فلم يفوا لي بشيءٍ من ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٣٩١.

(٢) شرح ديوان الهذليين ١/ ٢١٩.

ومن قوله: ثم أنشد لأبي ذؤيب. إلى هنا ليس في (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال الصولي: لما فعل الأتراك.

وقال المسعوديُّ: أتي بالمعتزِّ إلى المهتدي في ثوب دنس، وعلى رأسه منديل، فلمَّا رآه قام إليه واعتنقه، وأجلسه معه على سريره، وقال: ما هذا يا أخي؟ فقال: هو ما ترى، فقال [له المهتدي:] أنا أصلحُ أمرك مع الموالي، فقال: هذا أمرٌ لا أطيقُه، ولا حاجة لي فيها، فقال: فأنا في حلٍّ من بيعتك؟ قال: نعم، وفي سَعَةٍ منها، فردَّ المهتدي وجهَه عنه، وأقيمَ من المجلس، فحُبس وقُتل بعد سبعة أيام[1]، وقيل: بعد ثلاثة أيام.

قال الصوليُّ: وأولُ ما فعلَ المهتدي بعد بيعته أنَّه نفَى المغنين والمغنِّيات إلى بغداد، وأمرَ بقتل السباع التي كانت في دار السلطان، وكسرِ الملاهي، وطردِ الكلاب، وردِّ المظالم، وجلس للعامَّة، وكان يتحرَّى سيرةَ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ويقول: إني لأغار لبني العباس أنْ لا يكونَ فيهم مثلُه، ولزم الصلاة والصوم وقراءةَ القرآن والتقشُّف، وكان من أحسن الناس مذهباً، وأحمدهم[2] طريقة، وأكثرهم ورعاً وعبادةً، ولم يُبَايع ببغداد حتى قُتِلَ المعتزُّ ليومين من شعبان.

[قلت: من (أين)[3] وصفُ الخطيب والصوليِّ وغيرهما له بالورع، وقد واطأ على قتل ابن عمِّه المعتزّ من غير سبب إلَّا حبّ الدنيا، وقد كان قادراً على منع الأتراك من قتله وتعذيبه بأن يأخذَه إلى داره فيقول: إن قتلتموه فلا حاجة لي في الخلافة، وهل يفي دمُ مسلمٍ بعبادة الثقلين، وقد عُوجل بعد المعتزِّ بيسير، والله أعلم.][4]

وفيها أوقعت العامَّةُ ببغداد بسليمان بن عبد الله بن طاهر، وكان وردَ كتابُ المهتدي يوم الخميس سلخ رجب يأمرُه بأخذِ البيعة على الناس، وكان أبو أحمد بن المتوكِّل ببغداد، فأرسلَ إليه فأخذَه إلى داره، وعلِم أهلُ بغداد، فجاؤوا إلى باب سليمان وشغبوا وهجموا عليه، ودعوا باسم أبي أحمد، وأرادوا نهبَ دار سليمان، وقالوا: أرنَا أبا أحمد، فأظهرَه لهم، فسكنوا، ثم شغبوا، وقالوا عن المهتدي: هذا كان أبوه

(١) في مروج الذهب ٧/ ٣٧٢ ، ٣٩٩ : بعد ستة أيام.

(٢) في (ب): وأجلهم.

(٣) ما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

يقول بخلق القرآن، ما نبايعه، وقُتِلَ بينهم جماعة، وجُرِح آخرون، فبعثَ المهتدي مالاً، ففُرِّقَ فيهم، فسكنوا، وبويع يوم الجمعة لثمان خلونَ من شعبان، واستقرَّ له الأمر[١].

[فصل:] وفيها ظهرت قَبيحة أمُّ المعتزِّ في رمضان، بعد أن كانت قد استترت وأودعت الأموال والجواهر وما كان لها عند الناس، وطلبَها صالحُ بن وصيف، فأرسلت إليه امرأةً يقال لها العطَّارة تثقُ بها، فتوسَّطت بينهما، وكان لها ببغداد أموالٌ عظيمةٌ غير ما كان لها بسرَّ من رأى، فأحضرت من بغداد خمس مئة ألف دينار[٢] وخمسينَ ألف دينار[٣] ثم نقلَها صالح [بن وصيف] بعدما استصفاها إلى مكَّة في ذي القعدة، فذُكِر عمَّن سمعها وهي تقول [في طريقها:] اللهمَّ أخزِ صالحَ بن وصيف، وخذ لي بحقِّي منه كما قتل ولدي، وأخذ مالي، وبدَّد شملي، وهتكَ ستري، وارتكب الفاحشةَ منِّي[٤]، وغرَّبني عن بلدي.

ولما انصرفَ الناس من الموسم حُبِست بمكَّة، وكان الأتراك [قد] طلبوا منها قبل قتلِ المعتز [وخلعِه] خمسينَ ألف دينار على أن يُبقوا المعتزَّ في الخلافة، ويقتلوا صالح ابن وصيف، فبخلَتْ [عليهم][٥]، وأنكرت أن يكون عندها مال، ثم ظهرَ لها بعد ذلك من العين[٦] زهاء على ألف ألف دينار، وثلاث مئة ألف دينار[٧]، ووجدوا ثلاثة أسفاط في كلِّ سَفَطٍ مقدارُ مكُّوك زمرد [من الذي][٨] لم تر الخلفاءُ مثلَه، وسفط فيه

(١) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٢-٣٩٣، والمنتظم ١١/ ٨٥ .

(٢) في (خ) و(ف): ست مئة ألف دينار، والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري ٩/ ٣٩٤ .

(٣) قوله: وخمسين ألف دينار. لم يرد في تاريخ الطبري.

(٤) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٤ : وركب الفاحشة مني.

(٥) ما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (ب): المال.

(٧) كذا ذكر المصنف، ومثله في الكامل ٧/ ٢٠٠ ، ولعله خطأ، ففي تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٥ أن صالحاً أرسل أحمد بن خاقان إلى مكان أخبر أنَّ فيه مالاً لقبيحة، فوجد فيه زهاء ألف ألف دينار، فأخذَ أحمد منها ومَنْ كان معه قدر ثلاث مئة ألف دينار . .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب).

[نصف][١] مكوك حبٍّ كبار، لم يشاهَد مثله، وسفطٌ فيه مقدارُ كيلجة [من] ياقوت أحمر، لم يوجد في الدنيا مثله، فقوِّمتِ الأسفاطُ بألفي ألف دينار[٢]، فحُمِل الجميعُ إلى صالح [بن وصيف]، فلمَّا رآه قال: قبَّحها الله، عرَّضت ابنَها للقتل في خمسين ألف دينار، وعندها هذا، فنفاها[٣] إلى مكَّة، وأخذ الجميع وهي ترى، وكان ذلك في حائطِ دارٍ لبعض من تثق به، فغمزَ عليه[٤].

وفي رمضان قتل صالحُ بن وصيف أحمدَ بن إسرائيل وأبا نوح[٥].

وفيها شخص موسى بن بغا بمن كان معه من الرَّيّ، وانصرف مفلح عن طبرستان بعدما دخلها، وهَزَم الحسَن بن زيد إلى الديلم، وسبب ذلك أنَّ قبيحةَ لمَّا رأت تغيُّرَ الأتراك كتبت إلى موسى تسألُه القدوم، وكان مُفْلِح بطبرستان، فكتب إليه موسى يأمره بالانصراف إليه[٦]، وكان قد أوغلَ في الديلم لطلب الحسن بن زيد، فرجع قافلاً إلى الرَّيّ، فشقَّ ذلك على رؤساء طبرستان؛ لأنَّه كان يَعِدُهم اتِّباعَ الطالبيِّ أين توجَّه، فسقط في أيديهم، فقال لهم: قد وردَ عليَّ كتابُ الأمير موسى يأمرني أن لا أضعَه من يدي حتى أقبل إليه، وأنا مهتمٌّ بأمرِكم، ولكن لا سبيل إلى مخالفته، ولم يتهيَّأ لموسى المسيرُ من الرَّيِّ حتى أتاه كتابٌ بهلاك المعتزّ، وقيام المهتدي، فثناه عن القدوم إلى سامرَّاء، وامتنع هو وأصحابُه من بيعة المهتدي، ثمَّ بايعوا بعد ذلك في رمضان[٧].

ثمَّ إنَّ المواليَ الذين في عسكرِه بلغَهم أنَّ صالح بن وصيف استخرجَ الأموالَ من

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٥.

(٢) بعدها في (ب)- وما سلف بين حاصرتين منها- : وثلاثة مئة ألف دينار. والمثبت موافق لما في تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٥.

(٣) في (خ) و(ف): فنقلها. والمثبت من (ب).

(٤) انظر الخبر بتمامه في تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٥.

(٥) قوله: وأبا نوح. ليس في (خ)، ونص العبارة في (ب): وفي رمضان مثل صالح بن وصيف لأحمد بن إسرائيل لأبي نوح!!؟

وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٦.

(٦) في تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٦ : إليها.

(٧) أي: ورد خبرُ بيعتهم سامرَّاء في رمضان. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٧.

قبيحة ومن الكُتَّاب، فشحُّوا[١] بذلك على المقيمين بسُرَّ من رأى، وسألوا موسى المسيرَ إليها.

وكتب إليه المهتدي يأمرُه بالمقام بالريّ، وبعثِ الجيوش إلى الطالبيّ، فلم يلتفت، فبعث إليه عبد الصَّمد بن موسى و[أبا][٢] عيسى بن إسحاق العباسيين يخبراه بضيقِ المال بسامرّاء، وما يخافُ من رجوع الطالبيِّ إلى طبرستان، فأبلغاه الرسالة، فلم يسمع، وأغلظ الموالي للرسولين، وهمُّوا بقتلهما، وأقبلَ موسى إلى بغداد وصالح يعظِّمُ على المهتدي قدومَه، وينسبُه إلى المعصية والخلاف، فرفعَ يده إلى السماء وقال: اللهمَّ إنِّي أبرأُ إليكَ من فعل موسى بن بغا، وإخلاله بالثغر، وإباحةِ العدو، ثم جعل يبكي خوفاً من قدومه.

وكتبَ موسى إلى المهتدي يعتذرُ بتخلُّف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين، وأنه متى خالفهم لم يأمنهم على نفسه، ثمَّ وردَ سامرّاء[٣] لأربعِ خلون من المحرَّم سنة ستٍّ وخمسين.

وكان كنجور التركيّ قد نفاهُ المعتزُّ إلى فارس، فأقام عند عليِّ بن [الحسين بن] قريش، فلمَّا غلبَ يعقوبُ ابنَ قريش كان كنجور محبوساً عنده، فأطلقه[٤]، وجاء إلى. . .[٥] فأمرَ المهتدي بأن يقيَّد ويبعث إلى بغداد فيحبس، فخالفَه صالح[٦]، وأراد أن يتقوَّى به على موسى[٧].

وفيها عَصَى أبو موسى، عيسى بنُ الشيخ بنِ السليل الشيبانيّ بديارِ بكر وآمِد

(١) في (خ) و(ف): فسخر. وفي الكامل ٧/ ٢٠٤ : فحشدوا المقيمين بسامرَّاء. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٧.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٨ .

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٩ أنَّ الذين قدموا سامراء هم رسلُ المهتدي مع وفد من عسكر موسى.

(٤) في تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٩ : لما أراد علي بن الحسين محاربة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس.

(٥) في (خ) و(ف) بياض بمقدار كلمتين.

(٦) في تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٩ أن صالحاً كتب عن المهتدي في حمل كنجور إلى الباب مقيداً.

(٧) في سياق الخبر هنا اختصار مخل واضطراب، وانظر تمام الخبر في تاريخ الطبري ٩/ ٤٠٩ .
ومن قوله: وفي رمضان قتل صالحُ بن وصيف أحمد ... إلى هنا ليس في (ب).

ومَيَّافارِقين[١]، وكان المعتزُّ قد ولَّاه ذلك[٢]، فلمَّا قُتِل المعتزّ عَصى على المهتدي، ولم يبايعه، وأنكرَ قتلَ المعتزّ، ووَلَّى ولدَه محمداً آمد، وأحمد مَيَّافَارِقين، والذي[٣] بنى منارةَ الجامع بمَيَّافَارِقين محمدُ بن أحمد بن عيسى، وكتب اسمَه في لوح، وهو عند بابها يقرؤه من دخل[٤].

فصل: وفيها توفِّي

إبراهيم بن الحسين بن دِيْزيل الهَمَذَاني[٥]

كتب الكثير، وكان منهمكاً في كتابة الحديث، حكى جدِّي في «المنتظم» عن إسماعيل بن أحمد السمرقنديّ، بإسناده إلى إبراهيم قال: جلستُ في بعض الليالي أكتب، فكتبتُ حتى عييتُ، ثمَّ خرجتُ أتأمَّل السماء، وإذا به أول الليل، فأتممتُ كتابي، أصبحتُ وصلَّيتُ الصبحَ، وخرجتُ إلى حانوتِ تاجرٍ بالسوق، وإذا به يكتبُ حساباً له، ويؤرِّخه يوم السبت، فقلت: سبحان الله! أليس اليوم يوم الجمعة؟ فضحك وقال: لعلَّك لم تحضر أمس الجامع، فراجعت نفسي، وإذا أنا قد كتبتُ ليلتين ويوماً[٦].

---

(١) في تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٩ (طبعة مجمع اللغة) أنَّ عيسى بن الشيخ غلب على دمشق سنة خمس وخمسين ومئتين. قال الذهبي في العبر ٢/ ٤١ : وكان قد ولي دمشق، فأظهر الخلاف في سنة خمس وخمسين، وأخذ الخزائن وغلب على دمشق، فجاء عسكر المعتمد، فالتقاهم ابنه ووزيره، فهزموا، وقتل ابنه وصُلِبَ وزيره، وهرب عيسى، ثم استولى على آمد وديار بكر مدة. اهـ.
وذكر ابن الأثير في الكامل ٧/ ٣٩٧ أنه توفي سنة ٢٦٩هـ وبيده إرمينية وديار بكر.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٧٢ أن المعتزَّ عقَد له على الرَّملة سنة اثنتين وخمسين ومئتين.

(٣) في (خ) و(ف): والديني. وفي (ب): والمديني. ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) انظر أخباره في تاريخ الطبري ٩/ ٣٧٢، ٤٧٤ ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ٣/ ١٤٠٣ ، وتاريخ دمشق ٥٧/ ٢٨-٣٠ ، والكامل ٧/ ١٧٦، ٣٩٧ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٣٨٢-٣٨٣ ، والعبر ٢/ ٤١ .

(٥) وكذا أورده ابن الجوزي في المنتظم ١٢/ ٨٩ في وفيات سنة ٢٥٥ هـ. ولم أقف على من ذكر وفاته في هذه السنة غيره. ونقل الذهبي في السير ١٣/ ١٩٠ عن أبي يعلى الخليلي قال: مات سنة سبع وسبعين ومئتين. كذا قال فوهم ... والصحيح من وفاته ما أرَّخه علي بن الحسين الفلكي فقال: في آخر شعبان سنة إحدى وثمانين ومئتين. وكذا أرخ القاسم بن أبي صالح. انتهى كلام الذهبي.
وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٤٢٦ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٠٩ ، والعبر ٢/ ٦٥ ، والوافي بالوفيات ٥/ ٣٤٦ . وهذه الترجمة لم ترد في (ب).

(٦) المنتظم ١٢/ ٩٠ .

قلت: وإيش نفعته كتابةُ الحديث، وقد ضيَّع فرائضَ الصلوات، وهل كان من الملائكة، أقامَ ليلتين ويومين لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يبول!

وهذا الرجل من هَمَذَان، كوفيٌّ من رفقاء محمد بن سعد كاتب الواقدي[١]، وتوفي في هذه السنة بالكوفة.

[فصل:] وفيها توفي

إسماعيل بن يوسف

أبو عليّ الدَّيْلَميُّ الزاهد العابد. جالسَ أحمدَ بن حنبل ومن بعده من الحفَّاظ.

وروى الخطيبُ عن الجوهريِّ بإسناده عن أبي الحسين ابن المنادي قال: كان إسماعيل [الديلميّ] من خيار الناس، وذُكر لي أنَّه كان يحفظُ أربعينَ ألف حديث.

وكان من أشهر الناس بالزُّهدِ والورعِ والصيانة، وكان يسكن بالأَرْحَاء على شاطئ نهر عيسى[٢].

وحكى عنه الخطيب قال: اشتهيتُ حلواء، فخرجت في الليل من المسجد لأبول، فإذا بجانبي[٣] الطريق أخاوين[٤] حلواء، فنوديتُ: يا إسماعيل، هذا الذي اشتهيت، وتركُه خيرٌ لك، فتركته.

وكانت وفاتُه في هذه السنة، وقبرُه وراءَ قبر معروف مشهور، ويعرف بقبر الديلمي.

واتفقوا على صدقه ودينه وورعه وحفظه للحديث ومعرفته به، فيقال: إنَّه كان يذاكر بسبعين[٥] ألف حديث.

---

(١) كذا، ولم أقف عليه.

(٢) كذا قال، وهو وهم، وفي تاريخ بغداد ٧/ ٢٥٩ ، وطبقات الحنابلة ١/ ١٠٧ ، والمنتظم ١٢/ ٩١ : وأما مكسبه فكان من المساهرة في الأرحاء.

والأرحاء جمع رحى. قال أبو علي ابن الأبزاري لإسماعيل الديلمي: تسهر في هذا الرحى بثُلث درهم، وأيُّ شيءٍ يكفي ثلث درهم...

(٣) في (ب) و(ف): بجانب. وفي تاريخ بغداد ٧/ ٢٦٠ : جنبتي.

(٤) جمع إِخْوان، لغة في الخِوان، وهو ما يؤكل عليه. المصباح المنير (خون).

(٥) في (خ) و(ف): تسعين، وفي طبقات الحنابلة ١/ ١٠٨ : بتسعين. والمثبت من (ب) وتاريخ بغداد ٧/ ٢٦١ ، والمنتظم ١٢/ ٩١ .

وفيها توفي

الجاحظ

واسمه عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان البصري، من كبار المعتزلة، وأحد شيوخهم، ولد سنة خمس وخمسين ومئة.

قال جدِّي في «المنتظم»: وكان جدُّه أسود، وكان هو من متكلِّمي المعتزلة، وهو تلميذ أبي إسحاق النظَّام، قال: والناس يَعمونَ[١] بتصانيفه زائداً في الحدّ، وليس الأمر كذلك، بل له جيِّدٌ ورديء.

قلت: هذا صورةُ ما ذكر له جدِّي، ولم يذكر شيئاً من مصنَّفاته، ولا حكى بعض مقالاته، فأقول:

أمَّا مصنفاتُه فثلاثُ مئةٍ وستُّون مصنَّفاً، ووقعتُ على أكثرها في مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد، منها كتاب الحيوان، وهو كتابٌ كثيرُ الحشو، قليلُ الفائدة، وذكر فيه أن الذي يحيض من الحيوانات أربع؛ المرأة، والأرنب، والضبع، والخفاش[٢].

وكان الجاحظُ في أيَّام المعتصم والمتوكِّل، وانفردَ عن أصحابه بمسائل، منها قوله: إنَّ المعارفَ كلَّها ضرورية، وليس شيءٌ من ذلك من أفعال العباد.

و: ليس للعبادِ [كسبٌ][٣] سوى الإرادة.

ومنها: إنَّ أهل النار لا يخلَّدون، وإنَّما يصيرون إلى طبيعةٍ ناريَّة.

ومذهبه مذهبُ الفلاسفة في نفي الصِّفات ونحو ذلك.

ذكرُ طرفٍ من أخباره:

ذكر له الخطيب حكايةً بإسناده إلى يَمُوت بن المُزَرِّع قال: قال لنا الجاحظ: ما غلبني إلَّا رجلٌ وامرأة؛ فأمَّا الرجلُ، فإنِّي كنتُ مجتازاً ببعض الطرق، فإذا برجلٍ قصيرٍ بطين، كبير الهامة، طويل اللحية، متَّزِرٍ بمئزرٍ، وبيده مشطٌ يسقي به شقَّهُ، ويمشطها بيده[٤]،

---

(١) في المنتظم ١٢/ ٩٤ : يعجبون.

(٢) انظر كتاب الحيوان ٣/ ٥٢٩ .

(٣) ما بين حاصرتين من الملل والنحل ١/ ٧٥ .

(٤) في تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٨، والمنتظم ١٢/ ٩٤: به .

فاستزريُته، وقلت: أيُّها الشيخ، قد قلت فيك شعراً، فقال: هاته، فقلت: [من الوافر]

كـأنـك صَـعْـوةٌ فـي أصـلِ حُـشٍّ أصـابَ الـحُـشَّ طَـشٌّ بـعـدَ رشٍّ[١]

فقال لي: فاسمع جوابك، فقلت: هات، فقال:

كـأنـك جـنـدب[٢] فـي دبـر كـبـشٍ تُـدَلـدلُ هـكـذا والـكـبـشُ يـمـشـي

والجندب ضربٌ من الجراد، وكان الجاحظُ قبيحَ المنظر دميماً، ناتئ العينين، قصيراً مشوّهاً، قال: فخجلتُ منه وانصرفت.

وأما المرأة فكنتُ راكباً على حمارة، فحَبَقت[٣]، وإذا بامرأتين، فقالت إحداهما للأخرى: وي وي حمارة الشيخ تفعل كذا وكذا، قال: فغاظتني، فقلت: نعم، ما حملتني أنثى إلَّا أصابَها كذا، فقالت: لقد كانت أمُّك تسعةَ أشهرٍ معكَ في جهدٍ جهيد.

وفي رواية: فضربت بيدِها على كتفِ الأخرى، وقالت: لقد كانت أمُّ هذا منه تسعةَ أشهر ... وذكرتهُ.

قلت: وقد غلبتهُ أخرى، جاءت إليه امرأةٌ فقالت: إنَّ فلاناً يستدعيك، وذكرت رجلاً جميلاً، فقال: وما يريدُ مني؟ قالت: يسألك عن مسألة في علم الكلام، ومشى معها، وأجلسته عند صائغ وقالت: أقعد هاهنا حتى أهيِّئَ لك الجائزة، وأستأذِن لك وأعود، فقعد عند الصائغ عامَّة النهار، والصائغ ينظرُ إليه، ويردِّدُ النظرَ فيه، فضجر وقال للصائغ: أتعرف هذه المرأة؟ فقال: لا والله، وإنَّما جاءت وقالت: عندنا صبيٌّ صغيرٌ يبكي قد منعنا النوم، والساعة آتيك برجلٍ قبيحِ المنظر، تصوِّرُ [لي][٤] على صورته شيئاً يفزعُ به الصغير، وها أنا قد صوَّرتك في هذه الصحيفة، فقام الجاحظُ خجلاً وانصرف.

وحكى الخطيب عن [ابن][٥] أبي الذيَّال قال: حضرنا مع الجاحظ وليمةً، فجاء

---

(١) الصَّعوة: عصفور صغير، والحش: المكان الذي تقضى به الحاجة في البساتين، والطش المطر الضعيف. اللسان (صعا)، (حشش)، (طشش).

(٢) في تاريخ بغداد ١٢٨/١٤ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٣٥٤ (طبعة مجمع اللغة)، والمنتظم ١٢/ ٩٤ : كندب.

(٣) أي: ضرطت. القاموس (حبق).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٢٩/١٤ .

الظهر، فصلَّينا ولم يصلِّ الجاحظ، وجاء العصر ولم يصلِّ، وقام الجاحظُ لينصرف، فقال لصاحب المنزل: إنِّي لم أصلِّ لمذهبٍ أخبركَ به، فقال له الرجل: ما أظنُّ لك في الصَّلاة مذهباً إلَّا تركها.

وحكى ابن عساكر عنه أنَّه قال: رأيتُ جاريةً سوداء ببغداد في سوق النخَّاسين ينادى عليها، قال الجاحظ فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: مكَّة، فقلت: قد قرَّب الله الحجّ، أتأذنين لي أن [أقبل الحجر][1] الأسود؟ فقالت: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[النحل: ٧]؟

وحكى ابن عساكر أيضاً عن الجاحظ عن ثُمَامة بن أشرس قال: قدَّمَ رجلٌ خصماً له إلى بعض الولاة، فقال: هذا خصمي ناصبيٌّ، رافضيٌّ، جهميٌّ، مشبهيٌّ، يشتمُ الحجاج بن الزبير [الذي هدم الكعبة على عليِّ بن أبي سفيان][2]، ويلعن معاوية بن أبي طالب، فقال له الوالي: ثكلتك أمك، ما أدري ممَّ أعجب، من معرفتك بالأنساب، أو من معرفتك بالمقالات؟! فقال: ما خرجتُ من الكتَّاب حتى تعلمتُ هذا كلَّه، قال: صدقت.

ذكر نبذة من كلامه:

قال الجاحظ: المكافأة على الإحسان فريضة، والتفضُّلُ ابتداءً نافلةٌ.

و: العقلُ والهوى ضدَّان، فقَرِيْنُ العقل التوفيق، وقَرِيْنُ الهوى الخِذْلان.

وقال: القلوبُ أوعيةٌ، والعقولُ معادن، وما في الوعاء ينفد إنْ لم يمدّه المعدن.

وقال: الأشخاصُ كالأشجار، والحركاتُ كالأغصان، والألفاظُ كالثمار.

وقال: كفى بالتجارب تأديباً، وبتقلُّبِ الأيام عظةً، وبالأخلاق ممن عاشرتَ معرفةً، وبالموتِ زاجراً.

وقال: النظر في العواقب أوَّلُ الاستعداد للنوائب.

---

(١) في (خ) و(ف) بياض، وفي (ب): أن أقبل الأسود. والمثبت بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٥٥ (طبعة مجمع اللغة).

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر ٥٤/ ٣٥٤.

وقال: لا خير فيمن لم يتلقّ هفواتِ الإخوان بالعفو والغفران[١].

وقال المبرد: كتبَ إلى صديق له يعزيه بميِّت مات له:

أمَّا بعد، فإنَّ الماضي قبلك[٢] هو الباقي لك، والباقي بعدك هو المأجورُ فيك، وفي الله العزاءُ من كلِّ هالك، وفيه الخَلَفُ من كل مصيبة، ومن لم يتعزَّ بعزاء الله تقطَّعت نفسُه على الدنيا حسرات، والصبرُ يعقبُه الأجر، والجزعُ يعقبُه الهلَع، فتمسَّك بحظِّكَ من الصبر، تنلْ به عظيمَ الأجر والثواب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠].

وحكى الخطيبُ عنه أنَّه كان يقول: ما أكرهُ من الشيعةِ إلَّا الشين التي في أوَّل اسمهم، فإنِّي لا أجدُها إلَّا في كل شرٍّ، وشؤمٍ، وشيطانٍ، وشَغبٍ، وشقاءٍ، وشِقَاق، وشَيْنٍ، وشكوى[٣]، وشهرةٍ، وشحٍّ، وذكر كلَّ لفظةٍ في أوَّلها شِين[٤].

وكان قد فُلِجَ، فأتاهُ رسول المتوكِّل يطلبه، فقال: ما يصنع بشقٍّ مائل ولعابٍ سائل؟[٥]

ذكر وفاته:

[روى الخطيبُ عن الصيمريِّ، عن المَرزُبانيِّ، عن الجرجانيِّ، عن المبرِّد قال:][٦] دخلتُ على الجاحظ في آخر أيَّامه وهو عليل، فقلت: كيف أنت؟ فقال: كيف يكونُ من نصفُه مفلوجٌ، فلو نشرَ بالمناشير ما أحسَّ به، ونصفُه الآخر مُنَقْرَسٌ، فلو طارت ذبابة بقربه[٧] لآلمته، والآفةُ في هذا كله أنِّي قد جاوزت[٨] تسعين سنة، ثم أنشد يقول: [من الوافر]

أترجو أن تكونَ وأنت شيخٌ ... كما قد كنت أيَّام[٩] الشبابِ

---

(١) انظر العقد الفريد ٤/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) في (خ) و(ف) و(ب): ذلك. والمثبت من العقد الفريد ٤/ ٢٤٥.

(٣) في (ب): وشكوك.

(٤) الخبر في كتاب الحيوان للجاحظ ٣/ ٢٢ لكن من كلام شيخ إباضي جواباً للجاحظ، لا من كلام الجاحظ.

(٥) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٥٩.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال المبرد.

(٧) في (خ): به، وفي (ب): عليه، وليست في (ف). والمثبت من تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٠.

(٨) في (ب): أنه قد جاوز.

(٩) في (ب): في زمن. بدل: أيام.

لـقـد كـذبـتـكَ نـفـسُـك لـيـس ثـوبٌ دَرِيـسٌ كـالـجـديـد مـن الـثـيـابِ

ومات [الجاحظ] ببغداد في المحرَّم، ودُفن قريباً من أبي حنيفة، وعمره مئةُ سنة [انتهت ترجمته][١].

عيسى بن إبراهيم

أبو نوح، الكاتب المقتول، كتب للفتح بن خاقان، ثمَّ للمتوكِّل، وكان جواداً ممدَّحاً، ومدحه البحتريُّ[٢] فقال: [من الكامل]

وأخٍ لبستُ العيشَ أخضر [ناضراً][٣] بـكـريـمِ عِـشْـرَتِـه وفَـضـلِ إخـائِـهِ

مـا أكـثـرَ الآمـالَ عـنـدي والـمُـنَـى إلَّا دفـاعُ اللهِ عـن حـوبـائِـهِ

وعـلـى أبـي نـوحٍ لـبـاسُ مـحـبَّـةٍ تـعـطـيـه مـحـضَ الـودِّ مـن أعـدائِـهِ

تـنْـبِـي طـلاقـةُ وجـهـه عـن جـودِهِ فـتـكـاد تـلـقـى الـنُّـجْـحَ قـبـلَ لـقـائِـهِ

وضـيـاءُ وجـهٍ لـو تـأمَّـلـه امـرؤٌ صـادي الـجـوانـحِ لارتـوى مـن مـائِـهِ[٤]

[تمام حديث] المعتزِّ بالله
[واسمه] محمد بن جعفر المتوكِّل

قد ذكرنا ما فعله به الأتراك[٥]، ثمَّ أتوا به إلى المهتدي بعد ما سلَّمه صالحٌ إلى نوشري[٦]، فعذَّبه بأنواعِ العذاب، ومشَّاه في الرمل حافياً، فطلب نعلاً فلم يعطوه، فأسبل سراويله على رجليه، ومشى، وجعل يستغيثُ فلا يغاث.

[واختلفوا في كيفيه قتله على أقوال؛ أحدها أنَّهم][٧] أدخلوه حماماً، ومنعوه الماء

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ديوان البحتري ١/ ٢٤ .

(٣) ما بين حاصرتين من ديوان البحتري وتاريخ دمشق.

(٤) تاريخ دمشق ٥٧/ ٥-٧ (طبعة مجمع اللغة). وهذه الترجمة لم ترد في (ب).

(٥) في (ب): قد ذكرنا أنه أغرى الأتراك ودخل على المعتز ففعل به ما ذكرنا وحبسوه وخلعوه وولوا المهتدي وأقاموا المعتز في الشمس.

(٦) في (خ) و(ف) و(ب): سلموه لصالح النوشري. والمثبت من بغية الطلب في تاريخ حلب ٨/ ٣٧٧٤ .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ثم.

البارد، ثمَّ أخرجُوه، فسقوه الماء والثلج فمات. [والثاني][١] أنهم نزعوا أصابعَ يديه ورجليه ثمَّ خنقوه، [والثالث][٢] أنَّهم أدخلُوه سرداباً مجصَّصاً بجصٍّ جديد[٣]، فاختنق، ولم يعذَّب خليفةٌ ما عذِّب على صغرِ سنه.

وكانت وفاته يوم السبت لستٍّ خلون من شعبان، وقيل: لليلتين خلتا منه[٤].

[وذكره جدِّي في «التلقيح» وقال: مات المعتز بمكروهٍ نالهُ في] اليوم الثاني من رمضان، [وقيل: في غُرَّة شعبان،] وكانت ولايتُه ثلاثَ سنين وستَّة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً[٥]، و[كان سنُّه يوم قتل أربعةً وعشرين سنة[٦]؛ لأنَّه ولد في رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومئتين قبل خلافة أبيه المتوكِّل بثلاثة أشهر وعشرة أيَّام]، وأخرجوه ميتاً، وأحضروا القضاة والشهود، فشهدُوا أنَّه لا أثرَ به، ودُفِن إلى جانب أخيه المنتصر في ناحية قصر الصوامع، [فقال الخطيب: كان ابن ثلاث وعشرين سنة، وقال ابن أبي الدنيا: دفن][٧] بمكان يقال له: السَّمَيدَع [عند أخيه المنتصر].

وكان أبيض جميلاً على خدِّه الأيسر خالٌ أسود، وصلى عليه [محمد بن الواثق الملقب] المهتدي، ونقشُ خاتمه: المعتزُّ بالله، وهو ثالثُ خليفة خُلِعَ من بني العباس، ورابعُ خليفة قتل منهم.

[وقال الصوليّ: ولمَّا قتلَه صالح بن وصيف ظفر بأمِّه قبيحة، فأخذَ أموالها وذخائرها، وركبَ منها الفاحشة، ونفاها إلى مكَّة، فكانت تتعلَّق بأستار الكعبة،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي(خ) و(ف): وقيل.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل.

(٣) كذا في النسخ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٢ ـ نقلاً عن المرآة ـ وفي تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٠ أنهم جصَّصوا سرداباً بالجص الثخين...

(٤) بعدها في (خ) و(ف): وقيل في غرته. و قوله: لليلتين خلتا منه. ليس في (ب).

(٥) في تلقيح فهوم أهل الأثر ص٩١ : وثلاثة عشر يوماً.

وما ذكره ابن الجوزي هو بالنظر إلى البيعة العامة له، أمَّا بالنظر إلى البيعة الأولى بسامرَّاء، فمدَّةُ خلافته أربعُ سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٩٠ .

(٦) في (خ) و(ف): وسنُّه يوم قتل أربع وعشرون سنة، وقيل: ثلاثة وعشرون سنة. وما بين حاصرتين من (ب).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقيل. وانظر تاريخ بغداد ٢/ ٤٩٢ .

وتدعو عليه وتقول: اللهمَّ خذ لي بحقِّي من صالح، فقد فعل بي وفعل بي، فاستجابَ الله لها، فَقُتِل أقبحَ قتلةٍ لما نذكر].

وكان له من الولد جماعةٌ لم يشهر منهم إلا عبد الله، وليَ الخلافة يوماً واحداً، وسمَّى نفسَه الغالب [، وسنذكره].

ووزرَ للمعتزِّ جعفرُ بن محمد[١] الإسكافيّ، ثمَّ عزلَه وولَّى عيسى بن فرخان شاه، ثم أحمد بن إسرائيل.

وقاضيه الحسنُ بن أبي الشوارب.

وقال البحتريُّ الشاعر: كنتُ مصاحباً لأبي معشر المنجِّم، فأضقنا إضاقةً شديدةً، فدخلنا على المعتزّ، وهو محبوسٌ قبلَ أن يليَ الخلافة، فأنشدتُه أبياتاً كنتُ قلتُها في محمد بن يوسف الثَّغْريّ لمَّا حُبِس، وكأنِّي عملتها في الحال وهي: [من الطويل]

جعلتُ فداكَ الدهرُ ليس بمنفكٍّ ... من الحادث المشكوِّ والنازلِ المُشْكِي
وما هذهِ الأيَّام إلَّا منازلٌ ... فمن منزلٍ رحبٍ ومن منزلٍ ضَنْكِ
وقد هذَّبتكَ الحادثاتُ وإنَّما ... صفا الذهبُ الإبريزُ قبلَك بالسبكِ
أما في رسولِ الله يوسفَ أسوةٌ ... لمثلكَ محبوساً على الظُّلم والإفكِ
أقام جميلَ الصبر في الحبسِ بُرهةً ... فآل به الصبرُ الجميل إلى الملك[٢]

وكان على رأسِه خادمٌ، فدفعَ إليه الرقعةَ التي فيها الأبيات، وقال له: احتفظ بها، فإن فرَّج الله عنِّي فذكِّرني بها، لا ينسى حقَّ هذا الرجل[٣].

وكان أبو معشر قد أخذَ مولده، فحكم له بالخلافة بمقتضى طالع الوقت، فناولَه رقعةً فيها ذلك، وانصرفنا، فلما وليَ الخلافةَ دخلنا عليه، وأعطَى كلَّ واحدٍ منَّا ألف دينار، وأجرى له في كلِّ شهرٍ مئةَ دينار[٤].

---

(١) كذا في (خ) و(ف)، ومروج الذهب ٧/ ٣٧٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٢ (نقلاً عن مرآة الزمان). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ٦/ ٣٠٧، والوافي بالوفيات ١١/ ١٥٢: جعفر بن محمود.

(٢) ديوان البحتري ٣/ ١٥٦٣-١٥٦٤.

(٣) الفرج بعد الشدة ٢/ ١١-١٣.

(٤) من قوله: وقال البحتريُّ الشَّاعر... إلى هنا ليس في (ب).

وقال الزبير بن بكّار: دخلتُ على المعتزِّ فقال لي: يا أبا عبد الله، قد قلتُ أبياتاً في مرضي هذا ـ وكان مريضاً ـ وقد أعيا عليَّ إجازةُ بعضها، فأنشدَني: [من البسيط]

إنِّي عرفتُ علاج القلب من وجعِ ... وما عرفتُ علاجَ الحب والهلعِ
جزعتُ للحبِّ والحمَّى صبرتُ لها ... [إني لأعجبُ من صبري ومن جزعي
من كان يشغلُه عن حبِّه وجعٌ] ... فليسَ يشغلني عن حبِّكُم وَجعي[1]

قال الزبير: فقلت [له:]

وما أملُّ حبيبي[2] ليلتي أبداً ... مع الحبيبِ ويا ليتَ الحبيبَ معي[3]

محمد بن عِمْران

ابن زياد الضَّبِّيّ، أبو جعفر النحوي الكوفي.

كان الغالب عليه الأخبار والأدب، وكان ثقةً فيما ينقل، وكان شيخاً حلواً، وكان قبل أن يؤدِّب [عبد الله بن] المعتزّ معلماً يعلِّم الصبيان، فلمَّا اتَّصل بالمعتز، جعلَه على القضاة والفقهاء، فاجتمعوا إليه يوماً فنعسَ، ففتحَ عينيه وقال: تهجَّوا، فضحكُوا.

وحفَّظ عبد الله بن المعتزّ سورةَ النازعات، وقال له: إذا سألكَ أبوك أميرُ المؤمنين: في أي سورة أنت؟ فقل: في السورة التي تلي عبس، فسألَه أبوه، فقال ذلك، فقال: من علَّمكَ هذا؟ قال: معلمي، فأمرَ له بعشرة آلاف درهم[4].

محمد بن كَرَّام

ابن عِراق، أبو عبد الله، السِّجزيُّ العابد، شيخ الكرَّاميَّة.

أصله من مرو من قريةٍ يُقال لها: زَرَنْج[5]، ونشأ بسجستان، ثم دخلَ خراسان.

وصرَّح في كتبه بأن [الله][6] جسم، وأنَّ ذاتَه محلُّ الحوادث، وأنه مماسٌّ العرش،

(١) العقد الفريد ٥/ ٣٧٦ وتاريخ دمشق ٦/ ٣٣٦ (مخطوط)، وما بين حاصرتين منهما.
(٢) في (خ) و(ف): مبيتي. والمثبت من (ب) والعقد الفريد وتاريخ دمشق.
(٣) بعدها في (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منها ـ: انتهت. السنة السادسة والخمسون...
(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٢٣٣-٢٢٤، وإنباه الرواة ٣/ ١٧٩، وما سلف بين حاصرتين منهما.
(٥) زرنج ـ بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة وجيم ـ: مدينة هي قصبة سجستان. معجم البلدان ٣/ ١٣٨.
(٦) مكانها في (خ) و(ف) بياض. استدركته من المنتظم ١٢/ ٩٧.

فلا هو سكت سكوتَ الزاهدين، ولا تَفلَّقَ بكلام المتكلمين.

وذكره أبو حاتم ابن حبان الحافظ في كتاب «المجروحين» وقال: كأنَّه خُذِل حتى التقط من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أوهاها، وجالسَ أحمد الجُوَيباري وابنَ تميم، ولعلَّهما قد وضعا على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة والتابعين مئةَ ألف حديث، ثمَّ جالس أحمد بن حرب الأصفهاني بنيسابور، فأخذ عنه التقشُّف، ولم يكن يُحسِنُ العلم.

وقال أبو عبد الله الحاكم: جاورَ بمكَّة خمسَ سنين، ثمَّ انصرفَ إلى نَيْسابور، فحبسَه طاهر بن عبد الله بن طاهر، فلمَّا أطلقَه خرجَ إلى بعض ثغور الشام، ثم عاد إلى نيسابور، فحبسه محمد بن طاهر، وطالت حبسته ومحنته، وكان يغتسلُ كُلَّ جمعة، ويتأهَّبُ للخروج إلى الجامع، ويقول للسجَّان: أتأذنُ لي في الخروج إلى الجمعة؟ فيقول: لا، فيقول: اللهمَّ إنَّك قد علمتَ أنِّي قد بذلتُ مجهودي، والمنعُ من غيري[١].

ومكث بنيسابور أربع عشرة سنة، منها ثمانيةٌ في السجن، وكان في أوَّل أمره يلبسُ مَسْكَ ضأنٍ مدبوغ، وعلى رأسه قلنسوةٌ بيضاء، ويجلس فيعظُ ويذكِّرُ الناس[٢].

وقال الشهرستانيُّ: كان محمد بن كرَّام قليلَ العلم قد قمَّشَ من كل مذهَبٍ ضِغْثاً، وأثبتَه في كتابه، وروَّجهُ على أغتامٍ، فانتظمَ ناموسُه بسواد خراسان، وصار ذلك مذهباً، قد نصره السلطان محمود بن سُبكتكين، وصبَّ البلاءَ على أصحاب الحديث من جهتهم[٣]، وأصحابُه فرقٌ، ونصَّ على أن معبودَه على العرش مستقرٌّ، وأطلقَ عليه اسمَ الجوهر، وأنَّه سبحانه مماسٌّ العرش من الصفحة العليا، وجوَّزَ عليه الانتقال والتحويل[٤].

ذكر وفاته:

لمَّا أطلقَه محمدُ بن طاهر خرج إلى الشام، فنزلَ القدس، فنفاهُ الأمير يانس ـ وكان

(١) تاريخ دمشق ٦٤/ ١٩٠-١٩١ (طبعة مجمع اللغة).

(٢) المنتظم ١٢/ ٩٨.

(٣) نص العبارة في الملل والنحل ١/ ٣٣: وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعةُ من جهتهم.

(٤) الملل والنحل ١/ ١٠٨-١٠٩.

على الرملة والقدس ـ فنزل زُغَر، فمات بها في صفر، ثمَّ حُمِل إلى القدس ميتاً، فدُفن بمقابرِ الأنبياء، عند باب أريحا، بقرب يحيى بن زكريا عليهما السلام، ولم يَعلم به أحد.

وتوفِّي وأصحابُه بالقدس أكثرُ من عشرين ألفاً على التقشُّف والتعبُّد، ولهم رباطٌ يجتمعون إليه، ويظهرونَ النسك.

وكان نصر بن إبراهيم المقدسيّ ينكرُ عليهم ويقول: ظاهرٌ حسن وباطنٌ قبيح. وكان بالقدس رجلٌ يقال له: هجَّام يحبُّ الكَرَّاميَّة، ويحسنُ الظنَّ بهم، فنهاه الفقيه نصر، فقال: إنَّما لي ما ظهر منهم، فلمَّا كان بعدَ ليالٍ رأى هجَّام في منامه كأنَّه اجتازَ برباطهم، وقد نبتَ النرجسُ في حيطانِه، فمدَّ يده ليأخذَ منه باقةَ نرجس، فوجدَ أصولَه في العَذِرَة، فقصَّ رؤياه على الفقيه نصر، فقال: هذا تصديقُ ما قلت لك: ظاهرُهم حسن، وباطنُهم خبيث[١].

قال المصنِّف رحمه الله: وأصحابُ ابن كرَّام اليوم بسجستان وخراسان، منهم خلقٌ كثير، ولهم معبدٌ رائد، ولهم مقالاتٌ في التشبيه والحلول[٢].

مُعَلَّى بن أيوب

أبو العلاء الكاتب، وهو ابن خالة الفضل والحسن بن سَهْل.

وكتب للحسن بن سهل ثم للمأمون ثم للمتوكِّل، وكان عفيفاً، وإليه المظالم.

وقال معلَّى: [حدثني أحمد بن صالح بن أبي فنن الشاعر قال:][٣] كان محمدُ بن يزيد بن مَزْيد الشيباني أجودَ بني آدم في عصره، لا يردُّ طالباً من حاجة، فإن كانت عنده دفعها، وإن لم تكن عنده لم يقل: لا، ولكنه يَعِدُ، ثمَّ يستدينُ وينجزُ وعدَه، وأنشدني أحمد بن صالح بن أبي فنن فيه: [من الكامل]

عشقَ المكارمَ فهو مشتغلٌ بها ... والمكرماتُ قليلةُ العشَّاقِ
وأقام سوقاً للثناء ولم يكن ... سوقُ [الثناء يعدُّ][٤] في الأسواق

(١) تاريخ دمشق ٦٤/ ١٩٣ .

(٢) قال الذهبي في السير ١١/ ٥٢٤ : وكانت الكرَّامية كثيرين بخراسان، ولهم تصانيف، ثم قلُّوا وتلاشوا.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ١٧/ ١٨ (مخطوط).

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ١٧/ ١٨ ، ومكانها في (خ) و (ف) بياض.

بثَّ الصنائعَ في البلاد فأصبحتْ تُجبى إليه محامدُ الآفاقِ

وقال معلَّى: دخلتُ على المأمون، فرأيتُه مقبلاً على شيخٍ شديد بياضِ الثياب، حسن اللحية، على رأسه لاطية، فقلت: من هذا؟ قالوا: أبو العتاهية، فقال له المأمون: أنشدني من شعرك، فقال: [من مجزوء الكامل]

أنساكَ محياكَ المماتَا فطلبتَ في الأرض الثباتَا
أَوثقِت بالدنيا وأنْـ ـتَ ترى جماعتَها شتاتَا
إنَّ الإلهَ يُميتُ من أَحْيى ويحيي من أماتَا
يا من رأى أبويه في من قد رأى كانا فماتَا[1]

وقال: دخلتُ على عبد الله بن طاهر، فدخلَ عليه رجلٌ، فأجلسَه على سريره ـ وكان يعرفه قديماً ـ ثم أنشدَه ابنُ طاهر: [من الوافر]

أميلُ مع الذِّمام[2] على ابن عمِّي وأحملُ للصديقِ على الشقيقِ
فإن ألفيتني ملكاً عظيماً فإنَّك واجدِي عبدَ[3] الصديقِ
أفرِّقُ بين معروفي ومَنِّي وأجمعُ بين مالي والحقوقِ

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ١٧-١٨ . وأبيات أبي العتاهية في ديوانه ص٧٤-٧٥ دون البيت الثالث.
(٢) في (خ) و(ف): الدنيا. والمثبت من تاريخ دمشق ١٧/ ١٨ .
(٣) في (خ) و(ف): عند. والمثبت من تاريخ دمشق ١٧/ ١٨ .